شَجَن من كلامِ جهاد الخازن[1]

من ألمع كُتَّاب الأعمدة الصحفية الكاتب جهاد الخازن. وتمتاز أكثر كتاباته بالجِدَّة المعتمدة - في أغلب الأحيان- على مصادر لها مكانتها. وكتابته في عموده اليومي بصحيفة **الحياة** لها قراؤها الكثيرون. وفي هذه المقالة تجدر الإشارة إلى بعض ما ورد في مقالتين نُشرتا له في الصحيفة المذكورة أولاهما بتاريخ الخامس من شعبان الجاري (١٤٣١هـ)، وثانيتهما بتاريخ الثامن من الشهر نفسه.

ولقد تناول الأستاذ جهاد في المقالة الأولى مسألة تعذيب المعتقلين - وأغلبهم إن لم يكونوا جميعاً من المسلمين - بأيدي الأميركيين، ودور الاستخبارات البريطانية في التستّر على من مارسوه. واستغرب أن ينجو من المحاكمة أولئك الذين أمروا بذلك التعذيب، أمثال الرئيس بوش ونائبه تشيني ووزير دفاعه رامسفيلد. وفي رأي كاتب هذه السطور، ذي البضاعة المزجاة في عالم السياسة والإعلام، أن ما ارتُكِب من تعذيب ليس بغريب، وأنه لا غرابة في نجاة من أَمروا به من المحاكمة، ولا في تَستُّر الاستخبارات البريطانية عليه. فالدولة الأميركية قامت أساساً على الإرهاب، تماماً كما قامت الدولة الصهيونية، وظَلَّت محافظة كلَّ المحافظة على الأساس الذي قامت عليه. كل ما في الأمر أن ارتكابها الإرهاب عند قيامها كان مُوجَّهاً ضد شعوب في القارة الأميركية، وأن

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٢١/٠٨/١٤٣١هـ الموافق ٠٢/٠٨/٢٠١٠م.

مواصلتها الإرهاب أصبحت مُوجَّهة ضد شعوب أخرى خارج تلك القارة؛ وبخاصة ضد العرب والمسلمين في العقود الأخيرة.

وإذا كانت أميركا قد فرضت - بقوتها الجبارة وغطرستها المُتكبِّرة - على العالم عدم محاكمة أَيِّ جندي أميركي ارتكب جريمة ضد آخرين غير أميركيين أمام محكمة غير أميركية فهل يُتوقَّع أن يحاكم قادتها على جرائم ارتكبوها ضد الآخرين؟ ثم إن من المعلوم أن زعماء أميركا الأوائل، الذين ارتكبوا مختلف أنواع الجرائم - بما فيها استخدام الأسلحة الكيماوية - ضد سكان أميركا الأصليين كانوا من الأنجلو - ساكسون أسلاف قادة بريطانيا الحاليين. وليس من المتوقع إطلاقاً إلا أن يكون هؤلاء القادة منسجمين مع المجرمين من قادة أميركا جنباً إلى جنب، فبعضهم أولياء بعض. ومن الافتراء أن يقول قائل: إن في مواقف القادة البريطانيين؛ ماضياً وحاضراً، ما يشير إلى أن منها ما كان غير عدائي لأُمَّتنا، التي منها - لسوء الحظ - أولئك المُعذَّبون.

ولقد اختتم الأستاذ جهاد تلك المقالة بقوله: " السياسيون المتهمون مدانون في محكمة الرأي العام، وإذا لم يوضعوا في قفص الاتهام فالإدانة الأخرى هي للديمقراطية الغربية المزعومة".

أما كاتب هذه السطور فيعتقد اعتقاداً جازماً أن أولئك السياسيين لن يُوضَعوا في قفص الاتهام، بل سَيظلُّون - كما كانوا - مُكرَّمين مُبجَّلين من قِبل بعض زعماء أُمَّتنا نفسها، التي يُكوِّن المعتقلون المُعذَّبون أفراداً من بلدانها. أما محكمة الرأي العام فلا أظن إنساناً جاداً في نظرته إلى الأمور يجهل أنها ليست لها أَيُّ سلطة نافذة. وتبقى الديمقراطية الغربية. هل يجهل أحد أن مجيء زعيم مثل هتلر كان قد أتى إلى الحكم في بلد غربي عن طريق تلك الديمقراطية؟ وتعامل من يَدَّعون تَمسُّكهم بالديمقراطية مع مختلف شعوب العالم غير الغربي أمر معروف مشهود.

وأما ثانية مقالتي الأستاذ جهاد الخازن فَعمَّا سَمَّته الإدارة الأميركية " الالتزام الأخلاقي" بإسرائيل. وهذا أكبر خطأ في التسمية السياسية من وجهة نظره الصادقة. ذلك أنه كما قال: " التزام بدولة فاشستية تقتل النساء والأطفال وتحتل وتُدمِّر، وتسرق البيوت من ساكنيها، وتهاجم دعاة السلام في المياه الدولية". لكن السؤال الذي يمكن أن يُطرح هنا، هو: هل تاريخ أميركا الماضي أو حاضرها الراهن يدل على التزام قادتها أنفسهم بالوقوف ضد ظلم الآخرين أو بعدم ممارسته وعدم ارتكاب جرائم فظيعة؟

ومما أشار إليه الأستاذ جهاد في مقالته الثانية تقرير يظهر وجود أربعين جماعة أميركية جمعت أكثر من مئتي مليون دولار هدايا للمستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية والقدس الشرقية. وهذا - بطبيعة الحال - غير ما تهبه الدولة الأميركية للكيان الصهيوني من معونات بدأت بمنح هذا الكيان مئة مليون دولار هدية له فور إعلانه قيامه سنة ١٩٤٨م، وظَلَّت تزداد هداياها له مع مرور الأيام؛ مروراً بضمان إدارة بوش الأب للدولة الصهيونية بعشرة بلايين دولار استخدم كثير منها لبناء مستوطنات لليهود الروس في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وليس هذا كله بغريب. فالمتابعون لمجريات الأمور في أميركا يكادون يجمعون على أن " الكونجرس الأميركي أكثر إسرائيلية من الكنيست الإسرائيلي نفسه".

ومما أشار إليه الأستاذ جهاد، ما قاله كورسمان، الباحث العسكري البارز، من أن " الالتزام الأخلاقي" الأميركي بإسرائيل لا يُبرِّر إجراءات للحكومة الإسرائيلية تجعلها عالة استراتيجية على أميركا، وأن المصلحة الاستراتيجية الأميركية - الإسرائيلية تعني - على المدى البعيد- طلب السلام مع الفلسطينيين، ووقف بناء المستوطنات وعدم الاحتفاظ بها،

وتَجنُّب المغامرة بضربة عسكرية لإيران، وعدم تهديد مصالح أميركا في العالمين العربي والإسلامي".

أما كاتب هذه السطور فيقول: إن الكيان الصهيوني واثق كُلَّ الثقة أن إرادته هي النافذة في نهاية المطاف وفق مجريات الأمور في أميركا. ومن يظن أن الدولة الصهيونية؛ حكومة وشعباً، تريد سلاماً مع الفلسطينيين بخاصة ومع العرب بعامة، فهو يعيش في دنيا خيالات لا تمت إلى الواقع بصلة. ولا يَقلُّ عن هذا معيشة في الخيال ظَنُّ من يظن أن الصهاينة سَيتخلَّون عما بنوه من مستوطنات. على أن الغرابة أن يوجد من يَتحدَّث عن تهديد لمصالح أميركا في العالمين العربي والإسلامي لدعمها المطلق للكيان الصهيوني. ذلك أن من المشاهد أن تلك المصالح لم يلحقها أَيُّ ضرر، بل إنها ازدادت قوة ورسوخاً رغم ذلك الدعم الأميركي المطلق للصهاينة، ورغم أن بلداناً إسلامية ما زالت بفعل أميركا، أو بسببها، تعاني صنوفاً من الويلات والدمار.

obeikandl.com

كلام بدرخان حول نووي إيران[1]

بعد غد يبدأ شهر رمضان الكريم ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٥]. وهو شهر للرحمة والمغفرة والعتق من النار. وكاتب هذه السطور يرجو من الله الغفور الرحيم أن يتجاوز عن سيئات يرتكبها البعض منا؛ قادة وأفراداً من شعوب، في حق الله سبحانه وفي حقوق أمتهم.

أما بعد:

فالأستاذ عبدالوهاب بدرخان من الكُتَّاب العرب الذين تَتَّصف كتابتهم الصحفية بالجِدِّية والجودة. وكانت مقالته، التي كتبها في صحيفة **الحياة** بتاريخ العاشر من شعبان (١٤٣١هـ) بعنوان " بين صيغتي الجمع والمفرد.. عودة الإحباط إلى معسكر الاعتدال العربي"، مما شَجَّعني على الكلام، أو التعليق، على مسألة وردت في المقالة الثانية من مقالتي الأستاذ جهاد الخازن مُتعلِّقة بالنووي الإيراني. وكنت لم أَتكلَّم عنها أو أعلِّق عليها في مقالتي الأسبوع الماضي. وقبل الكلام عن الموضوع الرئيس، وهو النووي الإيراني، أَود أن أشير إلى عدم استحساني لاستعمال كلمة " الإحباط" في سياق عبارة العنوان. ذلك أن المعنى الصحيح لكلمة الإحباط هو " الإبطال". قال الله تعالى: ﴿فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ١٩]، أي أبطلها. ومن الواضح أن الكاتب أوردها قاصداً معنى " اليأس". ومن المؤسف أن كثيراً من الكُتَّاب والمُتحدِّثين يُعبِّرون عن كلمة اليأس بكلمة

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٢٨/ ٠٨/ ١٤٣١هـ الموافق ٠٩/ ٠٨/ ٢٠١٠م.

obeikandl.com

الإحباط، تماماً كما يستعملون كلمة " تواجد" - وهي من الوَجد، وقد تعني مرحلة من مراحل المشاعر الصوفية - مُعبِّرين عن كلمة " وجود".

أما مصطلح " الاعتدال العربي" فإنه يحتاج إلى تَأمُّل ورَويَّة. ذلك أنه قد أصبح يعني فيما يعني لدى من يطلقونه القبول بشرعية وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، والرضى بما يمكن أن يتنازل عنه ذلك الكيان المغتصب العنصري من تلك الأرض المحتلة - وهو لن يكون إلا ضريعاً لا يسمن ولا يغني من جوع -، وعدم التمسك الجاد الواضح بحق العودة للاجئين الفلسطينيين وفق قرار الأمم المتحدة المُعترِف لهم بذلك الحق. هل يمكن أن نُسمِّي الملك عبدالعزيز - مثلاً - غير معتدل في رفضه تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وصهيونية، وفي إصراره على معارضته قبول وجود دولة صهيونية على تلك البلاد؟ هل يمكن أن نقول عن حاكم، مثل الملك فيصل، الذي رفض رفضاً باتاً أن يعترف بشرعية دولة الصهاينة على أرض فلسطين، بأنه لم يكن معتدلاً؟ إن مصطلح "المعتدلين العرب" مصطلح ابتدعه من لا يُكِنُّون وُدّاً لأُمَّتنا العربية، وتَبنَّاه - مع الأسف الشديد - كُتَّاب من هذه الأُمة؛ منزلقين، كعادتهم، وراء الإعلام الغربي القوي المُضل دون تأمُّل وتَدبُّر في مضمون المصطلح ودلالاته.

وبالعودة إلى مقالة الأستاذ بدرخان يجد القارئ لتلك المقالة أنها تشتمل على مسألتين: الأولى تتصل بالمفاوضات بين قادة الكيان الصهيوني وزعماء السلطة الفلسطينية أَتظل مفاوضات غير مباشرة أَم تنتقل إلى مفاوضات مباشرة؟ ومما أشار إليه الكاتب حول هذه المسألة أن الرئيس الأميركي باراك أوباما قد خذل من يُسمَّون معتدلين من العرب، وذلك بعدم الوفاء بوعده أن يكون جاداً في البحث عن حل عادل للقَضيَّة الفلسطينية، وأنه أصبح متجاوباً مع موقف الكيان الصهيوني دون تَحفُّظ،

وأنه بات يُلِح على الفلسطينيين أن ينتقلوا إلى المفاوضات المباشرة كما يريد قادة ذلك الكيان مع استمرار تهويد الأراضي الفلسطينية المحتلة - بما فيها القدس الشرقية -، يوماً بعد آخر. ومما عَبَّر به الكاتب تعبيراً جيداً بهذا الخصوص قوله: " يدور الآن الحديث عن الانتقال من مفاوضات غير مباشرة إلى مفاوضات مباشرة..، أي من خواء إلى خواء. لكن هذا مُجرَّد عنوان لنقل رهان المعتدلين العرب على أميركا لترويض الوحش الإسرائيلي إلى رهان عليها لترويض الثور الإيراني الهائج. لكن استجابة أميركا للرهان الثاني مفهومة عموماً بأنها من أجل إسرائيل لا من أجل العرب".

أما المسألة الثانية التي اشتملت عليها مقالة الأستاذ بدرخان فمسألة النووي الإيراني. ومما قاله حول هذه المسألة: " إن الأبواب قد أُغلِقت منذ زمن دون إنتاج العرب للطاقة النووية حتى لو كان الهدف منها أن تكون لأغراض سلمية. بل حُظِر عليهم أيضاً إثارة مسألة الترسانة النووية الإسرائيلية. وعندما سمحت أميركا مُجرَّد سماح لتداول سلاح إسرائيل النووي عَدَّت هذه ذلك السماح تنكراً للملف التاريخي بين البلدين. ولذلك فإن وفاق أوباما - نتنياهو هدفه تصحيح "الخطأ". وفي مقابل هذا بات من شروط إيران التي " عوى عليها الجو"، كما يقول المثل العامي، " لاستئناف التفاوض حول برنامجها النووي أن تعلن أميركا والدول العربية موقفها من التسلح النووي الإسرائيلي، وكيف يُنوَى التعامل معه. ولَعلَّ أكثر ما يثير إيران ومعها دول أخرى طامحة هو الكيل بمكيالين. لكن يضاف إليه؛ إيرانياً، أن طهران ترفض إخضاعها للمعايير التي يُعامَل بها العرب من أجل هدف محدد هو تأمين التفوق الإسرائيلي وضمانه".

واستكمالاً للحديث عن تلك المسألة قال الأستاذ بدرخان: " كان

آخر نماذج الخذلان الأميركي للمعتدلين العرب الموقف بالغ السلبية الذي اتَّخذ إزاء سعي الأردن - بعد اكتشاف مخزون من اليورانيوم لديه - إلى إنشاء مفاعل للتخصيب تمهيداً لإنتاج طاقة نووية. ويمثل هذا الاكتشاف أملاً مستقبلياً حاسماً للأردن بالنسبة إلى اقتصاده، إذ تَتحكَّم فاتورة الطاقة بنموه وقدراته. وشكل الرفض صدمة لِعمَّان، التي ظنت أن صلحها العميق مع إسرائيل وعلاقتها الخاصة مع أميركا يمنحانها صكوك الثقة والاعتدال مما لا يضطرها للبرهنة على ذلك".

واختتم الأستاذ بدرخان مقالته بقوله:

" يُعامَل العرب (أي تُعاملهم أميركا ومن يدور في فلكها من الدول الغربية) بإقناعهم بتأجيل السلام مع إسرائيل إلى ما بعد إصلاح الخلل الاستراتيجي الذي يسببه النووي الإيراني، ولاحقاً إلى ما بعد تطبيع الوضع الأفغاني - الباكستاني، وتجفيف منابع الإرهاب، ولاحقاً، أيضاً، إلى ما بعد الحصول على الموافقة العربية الكاملة على شروط التسوية التي تناسب إسرائيل وترسانتها النووية الوحيدة في المنطقة".

والكلام السابق لا غبار عليه في تشخيصه لموقف أعداء أُمَّتنا بزعامة أميركا الداعمة دعماً غير محدود لعدونا اللدود.. الكيان الصهيوني. ومن الواضح أن المفاوضات بين قادة الكيان الصهيوني وزعماء السلطة الفلسطينية ظَلَّت كما قال الكاتب: " خواء في خواء" منذ بدايتها بعد معاهدة أوسلو، التي تشتمل بعض موادها على أخطاء فادحة بحق الشعب الفلسطيني وقضيته. ومن الواضح، أيضاً، أن التهويد للأراضي المحتلة مستمر على قدم وساق، سواء تَوقَّفت المفاوضات العبثية تَوقُّفاً مؤقتاً أو لم تَتوقَّف. القادة الصهاينة؛ مُعبِّرين عن أكثرية شعبهم، يُصرُّون على أنه لا اعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى بلادهم، ولا عودة إلى حدود ١٩٦٧م، ولا تفاوض حول القدس، التي قَرَّروا أنها جزء من

دولتهم لا انسحاب منها، وأنه لا بد أن يعترف العرب؛ فلسطينيين وغيرهم، بيهودية الدولة الصهيونية. أما قادة العرب فكأنهم اختاروا الاستسلام للأمر الواقع؛ سواء منهم من وقَّعوا اتِّفاقية مع الصهاينة ومن لم يَوقِّعوا حتى الآن. وأما أكثرية شعوبهم فهي -وإن دُجِّنت بدرجة كبيرة - ما زالت رافضة للتطبيع مع العدو الصهيوني. ويفعل الله ما يريد.

obeikandl.com

حديث المبارك أواخر الشهر المبارك[1]

الدكتور محمود المبارك، خبير القانون الدولي، له من اسمه أوضح نصيب. فمواقفه محمودة، وأسرته أحسائية مباركة كانت - وما زالت - أسرة فاضلة؛ منها العلماء والأدباء والشعراء الذين لهم مكانة سامية؛ عطاء فكرياً وجهوداً عملية مجتمعية.

كنت قد عرفت شيئاً من مواقف أخي الدكتور محمود المُقدَّرة المحمودة عندما قرأت له مقالة قَيِّمة في صحيفة **الحياة** بتاريخ **٢٢/ ٠١/ ١٤٣٠**هـ عنوانها: " عالم قانوني جديد بعد نهاية الحرب على غَزَّة". ثم سعدت بمقابلته عند زيارتي للأحساء، التي أُكنُّ لها ولأهلها مودة صافية.

في تلك المقالة أوضح الدكتور محمود - وهو الخبير بالقانون الدولي - أن عدوان الصهاينة على غَزَّة وأهلها جمع كل أنواع الجرائم في القانون الدولي؛ وهي الجرائم التي صَنَّفتها المحكمة الجنائية الدولية إلى: جرائم إبادة، وجرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم عدوان. وفَصَّل تَفصيلاً جَلياً كل ما ينطبق من تلك الجرائم المرتكبة مع كل قسم من هذه الأقسام الأربعة، وذكر أنها جرائم مكتملة أركانها مُسجَّلة بالصوت والصورة، ومُؤكَّدة من قِبَل مُنظَّمات حقوقية عربية وغربية. لكن المؤسف - كما قال الدكتور -: " أن الدول العربية لم تَتحرَّك بعد تجاه بدء إجراءات دعوى ضد المسؤولين الإسرائيليين في محكمة الجنايات الدولية. بل إن الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية الرافض لدعوة الحقوقيين

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٢٧/ ٠٩/ ١٤٣١هـ الموافق ٠٦/ ٠٩/ ٢٠١٠م.

الدوليين لمساندتهم في رفع إجراءات الدعوى، وعدم تَحرُّك ثلاث دول عربية أعضاء في تلك المحكمة بِأيِّ خطوات نحو هذا، يثير أكثر من سؤال".

أما كاتب هذه السطور فيقول: لقد اتَّضح أن من العرب، بل ومن الفلسطينيين أنفسهم، مَنْ فرحوا بالعدوان الصهيوني على غَزَّة. بل اتَّضح، أيضاً، أن هناك من هؤلاء مَنْ وقفوا ضد تقرير جولدستون المدين للجرائم الصهيونية.

وكنت قد أوردت الكلام السابق من مقالة الدكتور محمود المبارك في أولى حلقات نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٧/ ٢/ ١٤٣٠هـ بعنوان: " بعد وقوف المجزرة هل تستمر المسخرة؟". ثم نُشِرت المقالة ضمن كتاب عنوانه: " عام من الذُّل والانخداع" صدر من دار الفكر بدمشق عام ٢٠١٠م. وقد عَلَّقت على ذلك الكلام الذي كتبه الدكتور محمود بتأييد وبما تَوقَّعت أن يحدث في ضوء ما شاهدته وشاهده الكثيرون من مواقف الزعامات العربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة بالذات؛ وهو استمرار المسخرة. وها هي المسخرة مستمرة. ومن علامات استمرارها ما حدث تجاه تقرير جولدستون عن مجزرة غَزَّة كما أشير إليه سابقاً.

ذلك موقف محمود من مواقف الدكتور محمود تجاه قَضيَّة أُمَّتنا الأولى كما يراها المخلصون من هذه الأُمَّة، وكما يضطر إلى إظهار ذلك المنافقون المتاجرون بها، وهي قَضيَّة فلسطين، التي بدأت إجراءات صفقة بيعها واضحة قبل عقدين من الزمن في أوسلو، ويحاول من يحاولون الآن إكمال تلك الإجراءات برعاية دولة مُتسلِّطة على أُمَّتنا في أمكنة عديدة، داعمة للكيان الصهيوني دعماً غير محدود.

أَتوَّقف الآن عن مواصلة الحديث عن هذا الموضوع لأنتقل إلى قَضيَّة

أخرى من قضايا هذه الأمة كان لأخي الدكتور محمود موقف رائع في إيضاحها، وهي قَضيَّة أفغانستان وجرائم أميركا وجنود إبليس أجمعين معها تجاه ذلك الوطن الضحية من ضحايا الإرهاب المرتكب ضد المسلمين؛ عرباً وغير عرب.

في مساء يوم الأربعاء الماضي كان من حُسن حظي أن حظيت بمشاهدة مقابلة أُجريت عبر قناة الجزيرة مع الدكتور محمود المبارك حول أفغانستان وما يرتكبه المُحتلُّون لها من جرائم فظيعة ضد سكانها؛ رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالا. ومما يلحظه المشاهد لتلك المقابلة مقدرة الدكتور محمود على إيضاح مخالفة الجرائم المرتكبة هناك للقانون الدولي؛ ابتداء من العدوان الأميركي على أفغانستان واحتلالها وارتكاب الجرائم الفظيعة في ذلك العدوان وهذا الاحتلال، واستمراراً في ارتكاب تلك الجرائم. وإضافة إلى تلك المقدرة غير المستغربة على خبير بالقانون الدولي، حريص على تبيان الحق أمام المشاهدين، فإن مما يلحظه المشاهد، أيضاً، قدرة الدكتور على الاطِّلاع على كثير مما كُتِب حول الموضوع المُتحدَّث عنه؛ وبخاصة ما كتبه أميركيون وغربيون آخرون، وما صدر من اعترافات المجرمين الأميركيين أنفسهم، بمن فيهم رجال الاستخبارات المركزية الأميركية، بارتكاب جرائمهم البشعة المُقزِّزة، وما قيل مُوثَّقاً عن المسؤول الأول في ارتكابها؛ وهو الرئيس بوش الابن. وكان مما أوضحه الدكتور وثيقة نُشِرت قبل أيام قليلة من قِبَل تلك الاستخبارات نفسها، عنوانها: " ماذا لو علم العالم أن أميركا هي المُصدِّر للإرهاب؟! ".

وكان مما ذكره الدكتور محمود عن الرئيس بوش الابن ماضيه النَّزِق قبل تَولِّيه الرئاسة؛ وهو أمر أشارت إليه والدته نفسها أثناء الانتخابات لتلك الرئاسة، ثم تَحوُّله إلى هَوَس ديني ذكره أحد من كتبوا عنه من

الأميركيين بلغ إلى حَدِّ أنه كان يقول: " إن الرَّب يوحي إِليَّ كل ليلة، وإنه أَوحى إِليَّ أن أغزو أفغانستان"!. وقبيل عدوانه على العراق واحتلالها اتَّصل بشيراك يخبره بأنه ذاهب إلى محاربة يأجوج ومأجوج في بابل خوفاً من تدميرهم إسرائيل.

ومما ذكره الدكتور محمود من جرائم أميركا البشعة في أفغانستان مُوثَّقاً توثيقاً مُعتِمداً على مصادر أميركية وغربية حول تلك الجرائم الجريمة التي ارتكبت بفظاعة ضد أكثر من ثمانية آلاف من أنصار طالبان بعد أن استسلموا بشرط عدم المساس بحياتهم. وكانت تلك الجريمة في بدايات ذلك الاحتلال لأفغانستان، ولقد وعد أوباما بالتحقيق المستقل في تلك الجريمة، لكنه تَخلَّى عن وعده؛ تماماً كما تَخلَّى عن وعوده المتعددة، وأثبت أن السياسة الأميركية الشرِّيرة لا تَتغيَّر جوهرياً بين رئيس وآخر، وأنه لم يكن هناك فرق جوهري حقيقي بين سياسة رئيس أبيض وزيرة خارجيته سوداء وسياسة رئيس أسود وزيرة خارجيته بيضاء؛ وبخاصة إذا كان من سَتُملى عليه تلك السياسة عربياً أو مسلماً.

وما أوضحه الدكتور محمود في المقابلة من جرائم أميركا، التي يَترأس قواتها الآن في أفغانستان رجل من أسوأ المجرمين؛ ماضياً وحاضراً، ومن جرائم أنصارها هناك من دول مختلفة يجمعها الكره للمسلمين، كثير جداً. وأَتمنَّى أن يَطلِّع عليه الكثير من أفراد أُمَّتنا ليروا كيف تصل عداوة من يَدَّعون أنهم أنصار للعدل إلى حدود لا يَتصوَّرها العقل. ومع ذلك ما زال هناك من يتجاهلون الحقائق، ويزعمون أن أميركا صديقة للعرب والمسلمين.

ومن المسائل الجديرة بالذكر، التي أشار إليها الدكتور محمود في مقابلته الدالة على عمق تتبعه لقضايا أمته وإخلاصه لها، مسألة المُخدِّرات في أفغانستان. وقد ذكر أن تلك البلاد حين كانت طالبان تسيطر على أكثر

أراضيها نالت شهادة تقديرية عالمية في مكافحة المُخدِّرات، أما الآن فأصبحت، تحت نير الاحتلال الأميركي الثقيل وطأة وإجراماً، أكبر مصدر لتلك المُخدِّرات، وأصبح أقارب المتعاونين مع قوات الاحتلال من المسؤولين الأفغان من أكبر تجارها إن لم يكونوا أكبرهم، مدعومين من الاستخبارات المركزية الأميركية، ومُشجَّعين بوسائل قذرة متنوعة. ولفت الدكتور النظر إلى أن أميركا سبق أن غزت دولة مجاورة لها بحجة القضاء على المُخدِّرات الموجودة فيها، لكنها لم تقم بِأيِّ خطوة للحَدِّ من زراعة المُخدِّرات في أفغانستان طوال احتلالها، الذي مضت عليه الآن تسع سنوات، بل إن يدها العفنة المُتمثِّلة في استخباراتها تُشجِّع على تلك الزراعة، كما ذُكر سابقاً.

obeikandl.com

النداء الأخير من القدس والأقصى[1]

عنوان هذه المقالة ليس من عمل كاتبها ابتداء؛ بل هو عنوان لمقالة جيدة نشرها الكاتب العربي عرفان نظام الدين في صحيفة الحياة بتاريخ **٣١/٨/ ٢٠١٠م**. والعنوان واضح الدلالة. وما ذكره الأستاذ عرفان في مقالته المُتضمِّنة نداء أخيراً من المكانين العزيزين على كل عربي ومسلم جدير بالتأمُّل والتقدير.

والواقع أن الخوف من ضياع المسجد الأقصى - وضياعه بضياع القدس - قد سيطر على نفوس المخلصين من أُمَّتنا؛ عرباً ومسلمين، منذ أكثر من نصف قرن. وكان ممن عَبَّر عن ذلك الخوف؛ منذراً بما قد يحدث، أحد شعراء فلسطين الكبار، وذلك عندما ألقى قصيدة أمام الملك سعود - قبل تَولِّيه الحكم -، وخاطبه قائلاً:

المسجد الأقصى أُجئتَ تَزوره أَم جئتَ من قبل الضياع تُودِّعه؟

وكان أن ضاعت السيادة العربية الإسلامية على ذلك المسجد، الذي هو ثالث مساجد إسلامية مُقدَّسة، منذ أن احتل الصهاينة القدس الشرقية عام **١٩٦٧م**. وبضياع تلك السيادة بدأت الخطوات الصهيونية مُتقنَة شِرِّيرة لتهويد القدس والقضاء على المسجد الأقصى. وكان من الخطوات الصهيونية الأولى تمهيداً لذلك التهويد حريق **١٩٦٩م** المشهور. وقد أوضح الأستاذ عرفان في مقالته أن رئيسة الوزراء الصهيونية، غولدا مائير، أعربت عن سعادتها بحدوث تلك الجريمة، لكنها أصبحت أكثر

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٠/ ٠٩/ ٢٠١٠م.

obeikandl.com

سعادة بعد أن رأت أنه لم يحدث ما تَوقَّعته من رَدِّ فعل عربي وإسلامي غاضب مزلزل. وكان ما قاله تعليقاً على مجمل المواقف المتخذة تجاه القَضيَّة الفلسطينية بكاملها:

" اجتماعات وقِمَم طارئة وعاجلة وعادية تصدر قرارات لا تُنفَذ وتبقى حبراً على ورق، وتُرمَى في سَلَّة مهملات الجامعة العربية التي لا تجمع أحداً إلا في التظاهر، وبيانات شجب وتنديد واستنكار وتحذير من مخاطر المرحلة ووحشية العدو الصهيوني وخطورة المؤامرات الدولية وانحياز القوى العظمى للعدو من دون اتِّخاذ ولو خطوة واحدة في الاتَّجاه الصحيح".

وكان كاتب هذه السطور قد عَبَّر عن مثل ذلك بأبيات من قصيدة نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** - قبل أربع سنوات - بعنوان " صدى العيد"، قائلاً:

غَدَتْ فلسطين أَشلاءً مُمزَّقة وحَلَّ في أَهلها فَتكٌ وتَشريدُ
والقُدْس غَيَّر مُحتلٌّ هُويَّتها وانتابها من يَدِ الأَوباشِ تَهويدُ
والسَّادرون من الحُكَّام دَيدنُهم في كُلِّ نَازلةٍ شَجْبٌ وتَنديدُ
هاموا وَراءَ سَرابِ السِّلمِ زَادُهُمُ من عَمِّهم سَامْ تَوجيهٌ وتَعميدُ
وطَاعةُ السيِّد الجَبَّار وَاجبةٌ لها بِشرعِ سُكارى الذُّل تَأكيدُ
ومُقتضَى الطَّاعة العَمْياء مَظهرُها من الأَذلَّاء تَسبيحٌ وتَحميدُ
بَاعوا المَوَاطنَ كي تَبقى مناصبُهم يُحيطها من رِضا الأَسيادِ تَأييدُ

ومما ورد في مقالة الأستاذ عرفان تأكيده أن الخطر القائم على القدس والمسجد الأقصى ليس بجديد؛ بل هو يَتمُّ وفق خطة صهيونية موضوعة منذ قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م، وأن بدء وضع تلك الخطة موضع التنفيذ حدث بعد إكمال احتلال القدس عام ١٩٦٧م، وبَيَّن أن ذلك

التنفيذ مستمر متواصل باستخدام أساليب الترغيب والترهيب لتهجير أهل القدس الأصيلين.

ومن هذه الأساليب:

- إغراءات كبيرة لشراء الأراضي والممتلكات من أصحابها.
- مصادرة أراضي المسافرين والغائبين وممتلكاتهم.
- هدم منازل وشوارع كاملة بحجة عدم الحصول على رخص قانونية.
- التضييق على السكان فحملهم على الهجرة.
- اعتقالات المقدسيين وتقييد حُريَّاتهم، أو إبعادهم عن القدس، وإغلاق مراكزهم ونواديهم.
- إحاطة الأحياء العربية بمستعمرات استيطانية.
- الاعتداءات المُتكرِّرة على الأقصى، ومصادرة حائط البراق وتحويله إلى ما سَمَّاه الصهاينة حائط المبكى.
- تهديد أسس بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالحفريات تحتها.

ومما أشار إليه الأستاذ عرفان في مقالته أن حريق ١٩٦٩م أَدَّى إلى تَزعُّم الملك فيصل بن عبد العزيز للأمة المسلمة لعقد أول قمة إسلامية في الرباط أسفرت عن قيام منظمة المؤتمر الإسلامي وتشكيل لجنة القدس. على أنه استدرك ليقول: " إن الآمال خابت مع مرور الأيام. فقد استشهد الملك فيصل عام ١٩٧٥م، وتَحوَّلت منظمة المؤتمر الإسلامي إلى مؤسسة خاملة لا لون ولا طعم ولا رائحة ولا موقفاً حاسماً ومُوحَّداً لها؛ أسوة بالجامعة العربية المشلولة، ووضع المسمار الأخير في نعش لجنة القدس بعد وفاة الملك الحسن الثاني".

وما أشار إليه الأستاذ عرفان، هنا، صحيح. لكن يمكن أن يضاف إليه

أن الجامعة العربية بالذات أصبحت في الفترة الأخيرة بالذات أشبه ما تكون أَداة تُمرَّر من خلالها رغبات أميركا وإملاءاتها. ومن الأَدلَّة على ذلك أن قرارات التنازلات العربية، التي لا يستهان بخطرها، أصبحت سِمَة من سمات مؤتمراتها القيادية والوزارية.

ولقد اختتم الأستاذ عرفان مقالته بقوله: " مع كل هذا (أي مع كل ما يُرتَكَب تهويداً للقدس وتهديداً للمسجد الأقصى) لا نجد تَحرُّكاً عربياً جِدِّياً، ولا نهضة إسلامية حقيقية لمواجهة هذه المؤامرة. فالعدو يَتحرَّك بكل وقاحة، ولم يعد يُخفي مطامعه فيما العرب والمسلمون يَتفرَّجون على الحدث بلا مبالاة، مع أن كل الدلائل تشير إلى أن هدم المسجد الأقصى سَيُحدث زلزالاً في العالمين العربي والإسلامي لن ينجو أحد من حممه وبراكينه؛ لأن مثل تلك الجريمة لن تَمرَّ من دون عقاب؛ بل ستكون بداية لأحداث جسام لا يمكن لأَيِّ عربي أو مسلم أن يَتخطَّاها أو يعالج انعكاساتها ونتائجها. إنه النداء الأخير من القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك لكل من يملك مُقوِّمات الشرف والإيمان، ولكل من تسري في عروقه دماء عربية وإسلامية. لا بل هو الإنذار الأخير لمن يسمع ويَتَّعظ".

أما أنا - المحدود معرفة واطلاعاً - فَأختتم مقالتي بما يأتي: هل بقي من أُمَّتنا من له شأن وثِقَل وما زال يملك مُقوِّمات شرفٍ وإيمان؟ وهل بقي من أُمَّتنا من تسري في عروقه دماء عربية وإسلامية؟ وأَعني بذلك دماء عربية حقاً ودماء إسلامية صدقاً. لقد تَرحَّمت على الكرامة في مقالة عنوانها: " رحم الله الكرامة"، ونشرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٨/ ٤/ ٢٠٠٢م. وتَرحَّمت على الحياء، أيضاً، في مقالة عنوانها: " ورحم الله الحياء"، ونشرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٤م. وأجزم أن هاتين الخصلتين الكريمتين لم تُبعثا من قبريهما منذ نشر المقالتين المشار إليهما.

بَيْعُ الأَوطان بِالمَزَاد العَلَني[1]

التفريط بحقوق أقطار أُمَّتنا، أو بعضها، آفة من آفاتها عرفته هذه الأمة منذ عقود عديدة. لكن كان المُفرِّطون بتلك الحقوق يمارسون تفريطهم، الذي قد يصل إلى حَدِّ بيع تلك الأقطار، سِرّاً لا علناً. وإن فاحت رائحة منتنة لصفقة من صفقات البيع كانت نهاية من عقد الصفقة اجتماعياً وسياسياً. على أن الأمور وصلت - في السنوات الأخيرة - إلى بيع الأوطان علناً. ومن أمثلة ذلك ما حدث، ويحدث، في العراق وفلسطين مع الأسف الشديد.

وكنت - بمشاهدتي ما حدث ويحدث - قد خطر ببالي بَيتٌ كِدتُ أَجعله مطلعاً لقصيدة؛ وهو:

وَطنٌ يُبَاع فَمن يكون الشاري؟ والبيع باليورو أو الدولارِ

لكنني أدركت كثافة سحابة الكارثة التي تلوح بالأفق، فأدركت أنه يصعب على من هو مثلي محدود الطاقة أن يُعبِّر عن فَداحة كارثيتها، وأحجمت عن كتابة القصيدة.

لقد بدأ اليأس يَدبُّ في نفسي بالنسبة لاستعادة الحق المسلوب في فلسطين المغتصبة، بما فيها القدس ومسجدها الأقصى، عند نهاية حرب **١٩٧٣**م، التي أثبت المقاتل العربي في بدايتها على الجبهتين السورية والمصرية قدرته القتالية وعزيمته العظيمة على تحقيق النصر، لكنها انتهت

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الحياة** بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٧/ ٠٩/ ٢٠١٠م.

- مع الأسف - بمحاصرة فرقة من الجيش الصهيوني، بقيادة المجرم شارون، لفرقة من الجيش المصري غرب قناة السويس، وتَوقُّف إطلاق النار؛ مُؤدِّياً إلى ما تَمَّ في الخيمة ١٠١، كما هو معروف. وقد عَبَّرت عن ذلك على لسان مقاتل بَطلٍ من مصر العظيمة في رسالة إلى أُمِّه معتذراً عن عدم كتابته إليها قائلاً:

أُمَّـاه إن كُـنـت لم أَكـتـب فَمَـعـذرةً يَدُ الأَسى حَطَّمت في كَفِّيَ القَلَما
مـاذا أقـول؟ دُخـانُ الحُـزْن يَخـنـقـنـي يَغـتـالُ في شَفتيَّ النُّطقَ والكلما
بـالأَمسِ حَدَّثت عـن نَصرٍ أُحـقِّـقـه وعـن سَنَا أَملٍ من حَوليَ ارتسما
عـن جَيشيَ الحُرِّ يُصلي المُعتدي لَهَباً يَجتاز كُلَّ حُصونِ البَغيِ مُقْتحِما
عـن جَحفلٍ سوف يَمضي في تَقدُّمه مَـهـمـا تَـكـبَّـد مـن هَـولٍ وبَـذِل دِمَـا
حَـتَى يُـعـيـد إلى الأَقـصـى هُـويَّـتـه ويَسقيَ الذُّل نَذلاً دنَّسَ الحَرَما
واليوم مـاذا أرى؟ وَضْـعٌ يُمـزِّقـنـي يَبثُّ في مُهجتي الأَحزانَ والأَلَما
تَـوقَّـفـت طَـلـقـاتُ الـنـار.. عـاد إلى مَجَاهلِ الصَّمت صَوتٌ ضَجَّ واحتدما
والـقُـدْس مـا زَال مُحـتـلٌّ يُـدنِّـسـهـا وغَاصِبٌ في حِماها يَرفعُ العَلَما
وعُـدْت أَبحـث عـن حَـلٍّ يُـقـدِّمـه من صَبَّ فَوقيَ من وَيلاته ضَرَما
وعَـن وَثـيـقـةِ تَخـلـيصٍ أُوقِّـعـهـا في خَيمةٍ جَرَحتْ من أُمَّتي الشَّمَما

وأورام سرطان الذُّل سريعة الانتشار. فلم تَمرَّ سنوات على تلك الخيمة إلا وقد تَحوَّلت إلى منتجع يقال له: كامب ديفيد. ثم تَوالى تَقبُّل الذُّل واستساغةُ شرب كؤوسه؛ فلسطينياً وعربياً، حتى وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه الآن من استعداد البعض لبيع أوطان أُمَّتنا بالمزاد العلني.

وفي العام الماضي اختيرت القدس عاصمة للثقافة العربية، فنشرت مقالة عنوانها: " أهو التكريم أم التوديع للقدس؟". ومما ذكرته في تلك المقالة مسائل مُهمَّة بالنسبة لِحلِّ القَضيَّة الفلسطينية؛ مثل الانسحاب

الصهيوني من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م - وهذا أدنى ما يطالب به الضعيف المعترف بشرعية احتلال الصهاينة لما قبل ذلك العام من فلسطين وإن كان خروجاً على إرادة أُمَّتنا؛ شعوباً وقادة كان لهم مواقف محمودة آخرها في مؤتمر الخرطوم المشهور -، وحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم؛ وهو حَق أَقرَّته الأمم المتحدة، وعدم الاعتراف بيهودية الدولة الصهيونية. ذلك أن الاعتراف بيهوديتها من أهدافه الشرِّيرة الواضحة طرد من هم داخل تلك الدولة من عرب ١٩٤٨م. وأشرت إلى أن قادة الكيان الصهيوني - بتأييد كامل من أميركا - يرفضون ما ذكر. ولا أظن قادة السلطة الفلسطينية سيتمسكون بما أعلنوا استمساكهم به. ذلك أن ما مضى من تاريخهم؛ ابتداء من اتفاقية أوسلو، لا يبعث الأمل في استمساكهم بما أعلنوا.

وفي الشهر الأول من هذا العام نشرت مقالة عنوانها: " أَهو عام فيه تُصفّىٰ القَضيَّة؟". ومما قلته في تلك المقالة: لقد قلت عن العام المنصرم بأنه عام من الذُّل والانخداع. وهناك مؤشرات عديدة؛ فلسطينياً انقسام بين مُتمسِّكين باتِّفاقية أوسلو، التي من بنودها الوقوف ضد أَيِّ مقاومة فلسطينية للاحتلال الصهيوني - وقد برهنوا على هذا التَّمسك بمساعدة دايتون على التنفيذ - ومُتبنِّين للمقاومة، وعربياً بين متخاذل ضُرِبت عليه الذِّلة فبدا خائفاً مُكبَّلاً بإملاءات اتِّفاقيات معروفة ومظهر للصمود وإن كان صَيَّاح مقبرة، وغربياً بين مُتصهينٍ تدفعه عقيدة ضد العرب والإسلام ومساير للصهاينة طوعاً أو كرهاً.. كل ذلك يدل على أن الأوضاع وصلت إلى درجة تجعل من الممكن وضع السؤال، الذي جُعِل عنواناً لتلك المقالة.

وأمام معطيات الماضي - لا سيما العقود الثلاثة الأخيرة الحافلة بالتنازلات العربية الخطيرة - ومعطيات الحاضر المنذرة بكوارث

استسلامية لا يعلم كارثيتها إلا الله وحده أجدني مدفوعاً إلى طرح هذا السؤال: هل يؤمل أن يرتفع مستوى طرح قادة أُمَّتنا؛ فلسطينياً وعربياً، بحيث يصل إلى مستوى طرح الحاخام الصهيوني مايكل ليرنر؛ وهو الطرح الذي أبداه في مقالة نشرها في صحيفة **التايمز** بعنوان ترجمته العربية: " يُحطِّم قلبي أن أَرى غَباء إسرائيل". ومن النقط الواضحة في ذلك الطرح الحاخامي ما يأتي:

- تَفتح إسرائيل حدودها مع قطاع غَزَّة، وتسمح بالانتقال الحر من إسرائيل وإليها مع حق التفتيش بحثاً عن الأسلحة فقط، وتسمح بدخول الأغذية والوقود والكهرباء والمياه والغاز والبضائع الاستهلاكية ونقلها بكل الطرق؛ براً وبحراً وجواً.

- تُفرِج إسرائيل عن كل المعتقلين الفلسطينيين في سجونها، وتسمح لهم بالعودة إلى الضفة أو غَزَّة حسب اختيارهم مقابل إطلاق سراح الجندي جلعاد شاليط وأَيِّ محتجزين آخرين.

- يدعو الطرفان قوة دولية لمراقبة تطبيق هذا الاتفاق.

- يَسري وَقف إطلاق النار لمدة عشرين عاماً، على أن تُفرَض عقوبات صارمة في حالة مخالفته.

وإضافة إلى ما سبق يستدرك الحاخام ليرنر، فيقول: إنه يَتعيَّن على إسرائيل - باعتبارها القوة العسكرية المُتفوِّقة - أن تبدأ الخطوات الأولى بأن تُطبِّق خطة شبيهة بمشروع مارشال في غَزَّة والضفة لإنهاء الفقر والبطالة وإعادة بناء البنية التحتية، وتشجيع الاستثمار، وتفكيك المستوطنات أو جعل المستوطنين مواطنين في الدولة الفلسطينية، والسماح بعودة ثلاثين ألف فلسطيني سنوياً إلى إسرائيل لمدة الثلاثين عاماً القادمة، وأن تعتذر إسرائيل عن دورها في طرد هؤلاء عام ١٩٤٨م،

وتعرض تنسيق الجهود الدولية للتعويض عن خسائر الفلسطينيين خلال فترة الاحتلال، وأن تعترف بالدولة الفلسطينية في إطار حدود سبق تحديدها في اتفاقية جنيف عام ٢٠٠٣م.

ذلك هو طرح الحاخام مايكل ليرنر لحل القَضيَّة الفلسطينية. ومع أنه لم يشر صراحة إلى مدينة القدس إلا أن فيما طرحه جوانب إيجابية لم يصل إلى مستواها بعض قادة أُمَّتنا.

obeikandl.com

بين فِدَى المقتلين وفِدَى الساقين[1]

في الأسبوع الماضي سعدت بحضور حفل منح جوائز مؤسسة عبدالحميد شومان في مدينة عَمَّان الجميلة بفروعها الثلاثة: جائزة الباحثين العرب الشُّبان، وجائزة مُعلِّمي العلوم في المدارس الأساسية والثانوية الأردنية، وجائزة أدب الأطفال. وكان ذلك الحضور السعيد بدعوة كريمة من تلك المؤسسة المُوقَّرة. وكان من كرم المسؤولين فيها، ولطفهم، أن أتاحوا لي الفرصة لأكون بين المُتحدِّثين في الحفل. وقد أضافوا إلى ذلك تَكرُّماً آخر بإتاحتهم لي فرصة أخرى بأن ألقي محاضرة في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي في مساء يوم الاثنين الماضي.

وكان موضوع المحاضرة **خواطر حول الوطن والمواطنة**؛ وهو موضوع سبق أن تَحدَّثت عن جوانب منه، ونشرته هذا العام بهذا العنوان. ولَعلِّي أستطيع الحديث عنه باختصار، الأسبوع القادم؛ لا سيما ما لم يسبق نشره في هذا الموضوع.

في حفل منح جوائز شومان كانت قَضيَّة فلسطين حاضرة. ولم يكن ذلك الحضور بغريب. فهي في وجدان كل مخلص لدينه وأُمَّته العربية المسلمة. وكان من هؤلاء المخلصين المُعبِّرين عن إخلاصهم لتلك القَضيَّة الشاعر الكبير حيدر محمود، الذي ألقى في الحفل مقاطع شعرية جميلة؛ بينها مقطع بعنوان " زفرة مقدسية"، ومقطع بعنوان" ذات الجناحين". أما المقطع الأول فيتناول ما ارتكبه الصهاينة المجرمون من جرف مقبرة

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٧/ ٠٩/ ٢٠١٠م.

الشهداء في القدس، التي تَضمُّ رفات الذين سقطوا من أجل تلك المدينة، وإقامة أولئك المجرمين مكان تلك المقبرة ملاهي ومنتزهات دون مراعاة لما تحمله المقابر من معان لدى كل أصحاب الديانات المؤمنين بدياناتهم. ومن مُستهلِّ أبيات هذا المقطع:

إن لم تطاردهم حِجارة دُورِها فَلسوف يخنقهم تُراب قبورِها
شُهداؤها الأَحياء حُرَّاس على أَحيائها الشهداء فوق صخورها
سَيعاودون بناء ما هَدَم العِدا وسيخرجون "جدارهم" من سورها
وسَينتهي اللَّيل الطويل كما انتهت كلُّ اللَّيالى باكتمال بدورها

وكم يَتمنَّى كاتب هذه السطور أن يشارك ذلك الشاعر المتفائل تفاؤله. وختام ذلك المقطع:

عَيني على مِحرابها... عَيني على "أَبوابها" و"عيونها" وثغورها
عَيني على زَيتونها يبكي على زَيتونها فتفيض أَدمع "طورها"

وأما المقطع الشعري الثاني، الذي هو بعنوان: "ذات الجناحين"، فهو عن الطفلة الغَزِّية التي كان من جرائم الصهاينة المُرتكبة ضد غَزَّة هاشم وأهلها بتر ساقيها. وأبيات هذا المقطع كما يأتي:

فِدىً لساقيك سيقان الملايينِ القاعدين بلا دُنيا ولا دِينِ
والمُقعَدين.. فلا رِيحٌ تُحرِّكهم ولا يُحرِّكهم جَمر البَراكين
يا أَجمل الملكاتِ الجالساتِ على عَرشٍ من الشَّوكِ أَزرى بالرَّياحين
يغار منك الرضا.. والصبر قال لنا: تَعلَّموني من الصبر الفلسطيني
"ذات الجناحين" طِيري في السماء فما يَليق بالطُّهر أن يمشي على الطِّين

هذا المقطع المُعبِّر تَعبيراً رائعاً عن مشاعر قائله الكبير تجاه ما ارتُكِب ضد تلك الطفلة الفلسطينية الغَزِّية، التي شاهد عظمتها وروعتها من تابع مقابلتها في وسائل الإعلام المَرئية، يُذكِّر بأبيات جميلة مُعبِّرة أَروع تعبير

وردت في قصيدتين للشاعر الكبير الدكتور غازي القصيبي، رحمه الله. والقصيدة الأولى عن جريمة الصهاينة، التي ارتُكِبت بقتل الطفل محمد الدُّرة. ومن أبياتها:

يا فِدَى نَاظريكَ كُلُّ بَيانٍ بِمعاني هَوانا يَتوقَّدْ
يا فِدى نَاظريكَ كُلُّ زَعيمٍ حَظُّه في الوَغى أدان ونَدَّد
يا فِدَى نَاظريكَ كُلُّ اجتماعٍ ليس فيه سِوى خُضوعٍ يُجدَّد

ومسك ختامها:

قد علمنا تَهوُّد البعض منا أَوَلم يَبقَ معشر ما تَهوّد؟

وأما قصيدة الشاعر الراحل غازي الثانية فعن الذين يفدون أوطانهم بأرواحهم؛ مُتضمِّنة ردَّه على أولئك الذين يُسمُّونهم انتحاريين. ومن أبياتها:

يَشهد الله أنكم شُهداءُ يَشهد الأنبياء والأَولياءُ
انتحرتم؟ نحن الذين انتحرنا بحياةٍ أَمواتها الأَحياء
قد عَجَزنا حتى شكا العَجز منا وبكينا حتى ازدرانا البكاءُ
ورَكَعنا حتى اشمأَز رُكوعٌ ورَجونا حتى استغاث الرَّجاء
وشَكونا إلى طواغيتِ بَيتٍ أَبيضٍ مِلءُ قَلبه ظَلماء
أَيها القوم نحن متنا ولكن أَنِفت أن تَضمَّنا الغَبراء

ومن تلك الأبيات:

قل لآيات: يا عَروسَ العَوالي كُلُّ حُسْن لمُقلتيك الفداء
تَلثم الموتَ وهي تضحك بِشراً ومن المَوتِ يهرب الزُّعماء

وكان ختامها:

حين يدعو الجهاد لا استفتاء الفتاوى - يوم الجِهادِ - الدِّماء

رحم الله غازياً، وبعث في أُمَّتنا؛ قادةً وشعوباً، روح الكرامة والحياء.

جزا اليد الممدودة عَضُّها[1]

- ١ -

عنوان هذه المقالة ذو دلالة مشابهة لدلالة مثل سائر لدى المجتمع النجدي؛ وهو بلهجة أهل القصيم: " جِزا نَاقة الحج ذَبحَهْ" ؛ أي أن الناقة التي حملت صاحبها، وأَدَّى مناسك الحج على ظهرها، لم يكن جزاؤها إلا نحرها. وهذا المثل يُضرَب عندما لا يجازى الإحسان بالإحسان؛ بل بنقيضه. وتاريخ قادة الغرب؛ رجال دين ورجال سياسة، في علاقاتهم مع الإسلام والمسلمين تاريخ طابعه العداوة بصفة عامة. واستعمارهم لكثير من بلدان المسلمين أَحد الأَدلَّة على ذلك الطابع العدائي العدواني. وتمهيد بعض أولئك القادة الطريق للصهاينة كي يحتلوا فلسطين ويقيموا كيانهم الإجرامي العنصري على ترابها الطيب المبارك، ثم دعمهم دعماً غير محدود لذلك الكيان بمختلف الوسائل، دليل واضح آخر من أَدلَّة عدائهم لأُمَّتنا. وقد يقول قائل: إن ذلك موقف لقادة غربيين، لا للشعوب الغربية. ومن العدالة القول: إن أفراداً، وقليلاً من الجماعات، في الغرب لا يُكنِّون عداء للعرب والمسلمين، وأنهم يقفون مع الحق ضد الباطل. لكن من المعلوم أن القادة في البلدان الغربية، في العصر الحديث، لا يصلون إلى الحكم، ولا يستقيمون فيه، إلا باختيار

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** في حلقتين أولاهما بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٠م.

obeikandi.com

شعوبهم ورضاها. وعلى هذا فما أظهره قادة الغرب من عداوة ضد أُمَّتنا ليس من اليسير القول: إنه لا يُعبِّر عن رأي الأكثرية من الشعوب الغربية.

في الآونة الأخيرة طرح من طرح في الغرب نظرية صراع الحضارات. ولم يمض وقت طويل على طرح تلك النظرية حتى ظهر من قادة المسلمين من نادى بنقيض تلك النظرية؛ وذلك بطرحهم نظرية حوار الحضارات. وكان في طليعة من نادوا بهذه النظرية - على ما أذكر - رئيس إيران السابق، الذي كان مظهر سياسته الانفتاح على الغرب، والذي شهد عهده أسرع خطوات مسيرة المفاعل النووي في بلاده.

وفي وطننا العزيز.. المملكة العربية السعودية.. صانها الله من الشرور المُحدقة بها، وزادها توفيقاً، وأرشدها إلى ما فيه الخير؛ دنيا ودِيناً، بدئ بحوار وطني داخل هذا الوطن. وهذا أمر مستحسن لدى الكثيرين ما دامت الأسس التي قامت عليها وحدة البلاد مرعية مصونة، دون أن يَنجرَّ المتحاورون إلى ما يُؤثر سلباً على تلك الأسس. وتلا ذلك - مع استمرار الحوار الوطني - إقامة حوار بين أصحاب المذاهب الإسلامية في مكة المكرمة.. مهبط الوحي الأول وقبلة المسلمين في كل مكان. والحوار بين علماء المذاهب الإسلامية أمر مستحسن، أيضاً، لدى الكثير من المسلمين. ولو صدقت نوايا الجميع لكان من شبه المُؤكَّد تحقيق مصالح عديدة.

وفي السنوات الأخيرة وسَّعت قيادة وطننا ذات النوايا الطيبة دائرة الحوار مظهرة له على أنه تقارب بين الديانات، أو أصحاب الديانات، أو الثقافات. وليس المُهمُّ اسم ما نودي به؛ عُدِّل هذا الاسم أو لم يُعدَّل. وإنما المُهمُّ هو أن هناك من فَسَّره؛ صواباً أو خطأ، بأنه محاولة لكسب ثقة القادة الغربيين بالدرجة الأولى، ومن ثَمَّ شعوبهم، أملاً في أن تَتحقَّق المصلحة المرجوة. وأُقِيمت مُؤتمرات في الغرب على نفقة وطننا المضياف. ولا تَسلْ عن مقدار تلك النفقة.

ولقد تزامن مع ما ذكر حدوث تَيَّار سَمَّاه الكاتب خليل العناني الإسلام الاعتذاري؛ وذلك في مقالة له في صحيفة الحياة (١٣/ ١٠/ ١٤٣١هـ). وقال عنه: إنه يَتمثل في باحثين ومثقفين وكتاب مسلمين في الغرب يكشف خطابهم مدى العجز والشعور بالهزيمة الداخلية لديهم. ومن أبرز ملامح ذلك الخطاب أنه مُتهافت يفرط في نقد الذات المسلمة وجلدها، وأنه تلفيقي يقتطع النصوص والأحداث من سياقاتها التاريخية لإثبات صلاحية وجهة نظره، وأنه خطاب ما بعد استشراقي؛ لغة ومضموناً، بحيث يصل إلى التشكيك في النص الإسلامي ذاته. وقد اختتم العناني مقالته بقوله: إن الإفراط في جلد الذات طمعاً في تحقيق مكاسب شخصية أو استرضاء للآخر هو أشبه بمن يسكب الملح على جرح فاغر.

وبالعودة إلى ما قام به أصحاب النوايا الطيبة من المسلمين من جهود واضحة لإظهار عدم رفضهم لغيرهم؛ بل وإظهار تَقرُّبهم ومَودَّتهم للزعماء الغربيين، فإن من المشاهد بوضوح زيادة رفض هؤلاء الزعماء لجميع تلك الجهود وعدم الاستجابة لها. والأمثلة على ذلك الرَّفض عديدة؛ لا سيما في القارة الأوروبية. ومن هذه الأمثلة الرسوم المُسيئة لمكانة الرسول ﷺ، في الدانمرك. وقد يقول قائل: إن تلك الرسوم كانت حادثة شخصية. وقد يوافقه من يوافقه من لم يَتبصَّر في الأمور حق التَّبصُّر. لكن تلك الرسوم شُفِعت برفض رئيس وزراء الدانمرك مقابلة سفراء الدول الإسلامية لمناقشة المسألة. وأَيُّ إهانة أكثر من هذه؟ وإضافة إلى ذلك فإن صحفاً أوروبية أخرى - إمعاناً في إظهار الاحتقار للمسلمين ودينهم - أعادت نشر تلك الرسوم. وهذا دليل على وجود عداء مُعلَن أو مُخفًى ضد المسلمين والإسلام؛ إذ لو لم تظن تلك الصحف، أو تعتقد، أن إعادة نشرها يوافق هَوَى كثير من قرائها لما قامت حتماً بذلك. وجدير بالذكر أن تلك الرسوم المُسيئة أُعِيد نشرها في كتاب قبل أيام قليلة. والأَشد وضوحاً في إظهار ذلك الاحتقار والبغض للمسلمين ودينهم أن مستشارة ألمانيا -

قبل أَقلَّ من شهرين - حضرت حفل تكريم وتقدير لذلك الرسام الدانمركي في بلادها، وافتخرت بحدوث ذلك مُدَّعية أنه دليل على احترام حُرِّية التعبير. وكُلٌّ يعلم أن هذه المُفتخِرة باحترام تلك الحُرِّية التعبيرية أَجبن من أن تسمح لأِيِّ باحث، أو كاتب، أن يُشكِّك في عدد من قتلهم النازيون من اليهود؛ ناهيك عن التشكيك في حدوث ما يُسمَّى الهولوكست.

إن من الواضح جداً أن قادة أُمَّتنا؛ وبخاصة ذوي النوايا الطيبة كثيراً، فَضَّلوا أن يتناسوا دروس الماضي، واختاروا أن يتجاهلوا حقائق الحاضر. وبذلك التناسي وهذا التجاهل مَدُّوا أيديهم إلى زعماء الغرب أَملاً في كسب رضاهم. لكن مَدَّ الأيدي لم يُرَد عليه إلا بصفعات متتالية لم تَأتِ من أفراد في الدول الغربية فحسب؛ بل أتت من رسميين حكوميين أيضاً. وما كانت رسوم ذلك الدانمركي وذيولها حوادث معزولة. فما حدث من قَتلٍ لمسلمة داخل محكمة في ألمانيا، وما حدث من تَصويتٍ شعبي ضد إقامة منائر المساجد في سويسرا، وما حدث بالنسبة للنقاب والحجاب في فرنسا؛ إضافة إلى ما حدث من تَقدُّم للعنصريين المُتطرِّفين ضد الآخرين؛ وبخاصة ضد المسلمين، في أقطار أوروبية.. كل ذلك أَدلَّة واضحة على رفض زعامات مُنتخبة انتخاباً حُراً، لمصافحة الأيدي التي يَمدُّها طَيبو النوايا من المسلمين إليهم. بل إني لأظن أن غالبية من تُمدُّ إليهم الأيدي ينظرون إلى الأَيدي الممدودة للمصافحة على أنها أَيد ممدودة لاستجداء الرضا وكأننا المذنبون والذين تُمدُّ إليهم الأُيدي هم المُذنَب بحقهم. لقد تَقبَّلنا؛ قادة وشعوباً، ما يُوجَّه إلى أُمَّتنا من إهانات. وهذا أكبر دليل على أننا هُنَّا على أنفسنا فهنَّا على الآخرين.

أما بعد:

فذلك شيء مما حدث ويحدث في الغرب القديم؛ مُمثَّلاً في قارة

أوروبا، من رفضٍ واضحٍ لدعوات المسلمين للتقارب الإيجابي مع الغربيين، وعَضٍّ للأيدي الممدودة إليهم للمصافحة. فماذا عن الغرب الجديد؛ مُمثَّلاً في الولايات المتحدة الأميركية؟.

obeikandl.com

- ٢ -

كان الحديث في الحلقة الأولى من هذه المقالة مُركَّزاً على موقف كثير من زعامات الغرب؛ مُمثِّلين لأكثرية شعوب أوروبا، تجاه مَدِّ أصحاب النوايا الطيبة من قادة أُمَّتنا أيديهم إلى تلك الزعامات للمصافحة، ورفض هذه الزعامات مصافحة الأيدي الممدودة؛ بل توجيه صفعات متتالية إلى أصحابها، ونظرتها إليهم بأنهم يَمدُّون أيدي تَوسُّلٍ وتَقرُّب. وفي هذه الحلقة سيكون الحديث مُركَّزاً - باختصار - على موقف قادة أميركا تجاه الأيدي الممدودة.

كثير من المتابعين لما يحدث من أمور سياسية يكادون يَتَّفقون على أن انهيار الاتحاد السوفيتي - ومعه حلف وارسو - كان سبباً من أسباب بحث أميركا عن جهة تَحدٍّ لها وكأنها مقتنعة بأن بقاءها قوية مهيمنة لا بد له من وجود هذا التَّحدي. وعند ذاك كان استقلال دول إسلامية ظَلَّت عقوداً ضمن الاتحاد السوفيتي؛ إضافة إلى تنامي التَّوجه الإسلامي في المجتمعات المسلمة وانتشار الإسلام بين مجتمعات غير إسلامية، سبباً من أسباب اختيار أميركا المسلمين الجهة المؤهلة للتَّحدي، مع أن الدول الإسلامية - على العموم - مُتخلِّفة؛ عسكرياً وسياسياً واقتصادياً. ولقد حدثت أحداث من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه، قَوَّت ذلك الاختيار.

موقف أميركا المنحاز للصهاينة قبل إقامتهم كيانهم على أرض فلسطين وبعد إقامته موقف معروف. وعندما لاحت بوادر انتصار للعرب، في

معركة ١٩٧٣م، رمت بثقلها فوراً للقضاء على تلك البوادر، فأقامت جسراً جوياً من الأسلحة المتقدمة، التي أسهمت في جعل تلك المعركة تنتهي إلى ما انتهت إليه. ولما رأت أن العرب - بقيادة الملك فيصل - قد استخدموا سلاح النفط في معركتهم مع الكيان الصهيوني والداعمين له بكل صلافة سارعت إلى البدء بالاستعداد للسيطرة على منابع النفط العربي إذا رأت حاجة إلى تلك السيطرة المباشرة، فَكوَّنت ما سُمِّي بقوات التَّدخل السريع. واندلعت حركة المقاومة الأفغانية للوجود السوفيتي في أفغانستان؛ مرتدية ثوب الجهاد، فلبس الرئيس الأميركي حينذاك العمامة، واندفع من اندفع من قادة أُمَّتنا في تأييدهم للمقاومة الأفغانية المرتدية ثوب الجهاد المبارك أميركياً؛ لا لأنها حركة تحرير عادلة؛ بل لأنها كانت ضد القطب الأكبر المنافس لأميركا وحلفائها. وكان لذلك الاندفاع غير الحكيم آثاره التي ما زالت أُمَّتنا؛ وبخاصة المملكة العربية السعودية، تعاني منها أسوأ العواقب. والحديث عن خطأ الموقف الذي اتُّخِذ يطول، لكنه ليس مجال بحث هنا.

كانت الكارثة التي حَلَّت بالاتحاد السوفيتي في أفغانستان وخيمة. وكانت من بين أَسبابٍ تضافرت لِتؤدِّي إلى تَفكُّك ذلك الاتحاد. وبقدر ما كان ذلك التفكك نصراً لأميركا وحلفائها كان في أحد مظاهره نصراً لتحرُّك إسلامي رأى قادة أميركا أنه لا بد من مراقبته مراقبة دقيقة، والعمل على كبح جماحه، وراحوا يَتحيَّنون الفرص للانقضاض عليه. لقد استخدموه في مواجهتهم مع المنافس السوفيتي، وما دام ذلك المنافس لم يعد منافساً خطيراً فَمهمَّة الحلفاء من المسلمين في ميدان تلك المنافسة قد انتهت. وبات على المسلم الحليف لأميركا أن يراعيها ويبحث عما ترتاح إليه من المواقف. من هنا عاد الزعماء العرب على "منكَّس قرونهم" - كما يقول المثل الشعبي - إلى إحلال القيادة المصرية، التي سبق أن

عارضوها، أو قاطعوها، لإقدامها على ما أقدمت عليه في كامب ديفيد، مَحلَّ الصدارة. وانطلقوا في مبادرات أبرزها مبادرة الملك فهد عندما كان ولياً للعهد، ومبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد أيضاً. وكلتا المبادرتين تُبنِّيت من قِبَل زعماء الدول العربية. ومما يلفت النظر أن المبادرات العربية تَعترف بشرعية ما احتلَّه الصهاينة قبل عام ١٩٦٧م؛ وهو أمر لم يخطر ببال القادة العرب السابقين، وأنها لم تنص على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم؛ وهو حق أقرته الأمم المتحدة، بل تركت تلك العودة للتفاوض بين مُحتلٍّ قَوي مدعوم بأقوياء وضعيفٍ راسخٍ تحت نِير الاحتلال مَحروم من سَندٍ قَويِّ الإرادة. ومن المعلوم أن القويَّ يفرض شروطه على الضعيفِ في أَيِّ مفاوضات.

ومن الأحداث الوَبَال على أُمَّتنا إقدام صدام حسين، رئيس العراق، بكل غَباء وصَلَفٍ ممقوتٍ على جريمة احتلال الكويت. وكان ذلك مما أوضح أن الدول العربية - رغم ما أُنفِق من ميزانياتها من أموال لشراء الأسلحة وتكديسها - لم تكن قادرة على رَدعِ من خرج عن جَادَّة الصواب، وإجباره على الإقلاع عن جريمته، كما كان ذلك ذريعة لترسيخ الوجود الأميركي في المنطقة؛ عسكرياً وسياسياً. ولم يكتف قادة أميركا بتحطيم قوة العراق عسكرياً، وتدمير بنيته الأساسية، والفتك به، حصاراً وتجويعاً. ذلك أنهم - في نهاية الأمر - قاموا باحتلال ذلك البلد عدواناً سافراً، وارتكبوا مختلف الجرائم، ودَمَّروا ما بقي من قوته، كما عملوا على تفتيت لحمته الاجتماعية، وإحياء طائفية وعرقية ممقوتتين بين سكانه. وكل ذلك يخدم أعداء أُمَّتنا؛ وبخاصة الصهاينة.

ومن الأحداث التي كانت وَبَالاً على أُمَّتنا ما ارتكب في الحادي عشر من سبتمبر، عام ٢٠٠١م؛ وهو حادث ما زالت تدور أسئلة حول كيفية حدوثه في دولة بلغت قوتها الاستخبارية حَدّاً جعلها تكاد تحصى على

الناس أنفاسهم داخل تلك الدولة وخارجها، وحول ما إذا كانت الاستخبارات الصهيونية على علم بأنه سيحدث ذلك الحادث أو لم تكن. على أن المُهمَّ هو أن ذلك الحادث كان أقوى ذريعة لعدوان أميركا المُتغطرسة على أَفغانستان واحتلالها، وارتكاب أفظع الجرائم في عَمليَّة ذلك الاحتلال واستمرار ارتكاب تلك الجرائم الفظيعة حتى الآن. بل إن عدوان أميركا لم يقتصر على أفغانستان، وإنما امتد إلى باكستان، التي لم يُفِدها وقوفها مع تلك الدولة المُتغطرسة، فباتت تواجه ويلاتها؛ امتهاناً لسيادتها، وتَقتيلاً لمدنيين أَبرياء من شعبها.

ومع استمرار مَدِّ أصحاب النوايا الطيبة من أُمَّتنا أيديهم لقادة أميركا، وانتهاجهم موقفاً أوضح ما يكون تَساهلاً وتَقرُّباً، فإن هؤلاء القادة؛ مثلهم مثل قادة أوروبا على العموم، يقابلون تلك الأيدي الممدودة بالنوايا الحسنة بكل وجوه الإعراض؛ بل بِعَضِّها بدلاً من مصافحتها. والمشكلة الأدهى أننا ما زلنا نَعمه في غَيِّنا وانخداعنا. ما زال بعض منا يظنون - أو هكذا يبدون - أن قادة أميركا، وقادة الغرب على العموم، يمكن أن يعاملوا أُمَّتنا وقضاياها بعدل وإنصاف، وكأن هؤلاء نَسُوا قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٠] وأن أعداء أُمَّتنا ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥/ ٥١].

ما زال الصهاينة هم المُطَاعِين[1]

قبل سبع سنوات كتبت مقالة نُشِرت في هذه الصحيفة.. الجزيرة.. عنوانها: " هذا هو العصر الصهيوني". وكان مما ذكرته فيها أن اليهود - ببراعتهم الشيطانية الهدف والأسلوب - بذلوا جهودهم المُكثفة لفرض نفوذهم على العالم منذ زمن بعيد. وكان من هذه الجهود بَثُّ مبادئ الماسونية التي راقت لأُناسٍ من ذوي المكانة السياسية والاجتماعية في أقطار المعمورة، وبخاصة تلك المُتقدِّمة علمياً واقتصادياً. ثم نشطوا على مسرح الأحداث بترسيخ فكرة الصهيونية، التي لم يقتصر اعتناقها على فئات كثيرة منهم فحسب؛ بل أَيَّدها واعتنقها فئة من المسيحيين لا يستهان بها عَدداً ومكانة. وأصبحت كُلٌّ من الماسونية والصهيونية تكمل الواحدة منهما الأخرى. واختتمت تلك المقالة بالقول:

" لَعلَّ من أوضح الأَدلَّة على أن العصر الذي نعيش فيه الآن هو العصر الصهيوني أنه يمكن أن يُسَبَّ عيسى - عليه السلام - ويُقدَح في عرضه عبر أفلام وكتابات في الدول الغربية التي تدين غالبيتها برسالته، لكن لا يمكن أن يُنتَقد زعماء الدولة الصهيونية على ما يرتكبونه من جرائم بشعة، وأن كل من يطمح إلى الزعامة في تلك الدول، أو يرجو الاستمرار في زعامتها، لا بد أن يظهر ولاءه ومحبته لهذه الدولة المجرمة".

وفي العام الماضي نشرت مقالة في **الجزيرة**، أيضاً، عنوانها: " أَلسنا في عصر صهيوني؟". وقد رَكَّزت الحديث في تلك المقالة على نجاح

---

(١) نُشِرت في صحيفة **الجزيرة** بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٤٣١هـ الموافق ٠٨/ ١١/ ٢٠١٠م.

الصهاينة في التخطيط لاحتلال فلسطين، ثم في تنفيذ ما خَطَّطوه يساعدهم في هذا التنفيذ زعماء غربيون اجتمع لديهم كرههم للمسلمين؛ لا سيما العرب منهم، وتَغلغل فكرة التصهين في نفوس بعضهم بحيث أصبحوا أكثر يهوديةً من اليهود أنفسهم.

وكان مما أشرت إليه في مقالتي تلك أن المتأمل في أحداث الماضي والحاضر يرى أن مواقف الإدارات الأميركية المتعاقبة لا تختلف - بالنسبة لِقَضيَّة فلسطين بالذات - من حيث الجوهر اختلافاً ذا شأن؛ سواء كانت جمهورية أو ديمقراطية؛ تماماً كما لا تختلف سياسة زعماء الصهاينة وأهدافهم من حيث الجوهر مهما بدا من اختلاف، أحياناً، في تصريحات أولئك الزعماء. ولذلك فإني لست مع المتفائلين بأن الإدارة الأميركية الحالية لديها الرغبة في اتخاذ موقف عادل تجاه قَضيَّة فلسطين، أو القدرة على اتخاذ ذلك الموقف العادل لو فرض أن الرغبة في اتخاذه موجودة، وأن ما يعلن في هذه الأيام على أَلسنةِ بعض ساسة أميركا من ألفاظ يبدو بعضها معقولاً لن يُؤثِّر في الموقف الأميركي الثابت المُتأصِّل؛ وهو الموقف المنحاز للكيان الصهيوني.

وكنت قد كتبت المقالة الأخيرة في أجواء إلقاء الرئيس الأميركي خطابه المشهور في جامعة القاهرة، الذي بلغت حماسة أحد من استمع إليه، وهو يلقيه، حَدّاً جعله يهتف قائلاً بلغة إنجليزية وبلهجة مصرية مُميَّزة ما ترجمته: " نحبك يا أوباما". ونشرت، إلى جانب تلك المقالة، قصيدة صدى لذلك الخطاب من أبياتها:

ونحن الأُلى أَضحى لنا الذُّل شيمة ... وصِرنا جماعاتٍ تُداس وأقواما

مَساكين نحن العُرْب يَكفي نفوسنا ... مُجاملةً من ساسة الغرب إكراما

وإن مَنَّ بالقول الجميل مُفوَّهٌ ... هَتفنا ورَدَّدنا: " نُحبُّك أُوباما"

ما تَوقَّعته حينذاك - في خِضمِّ تفاؤل من تفاءلوا بمجيء باراك أُوباما إلى رئاسة أميركا - أثبت مرور الأيام صحته. فحتى الحقوق الفلسطينية التي صدرت فيها قرارات دولية من منظمة تَتحكَّم بمجلس أمنها هذه الدولة؛ مثل حق عودة اللاجئين إلى وطنهم فلسطين، وانسحاب الصهاينة من الأراضي التي احتلُّوها عام ١٩٦٧م، لم تعد من الأمور التي يلقي لها بالاً قادة أميركا. بل إن الصهاينة تَمكَّنوا من أن يجعلوا حليفتهم الاستراتيجية المُتصهينة تَقف حجر عثرة في طريق وصول تقرير جولدستون المُدين لجرائم أولئك الصهاينة المرتكبة ضد غَزَّة وأهلها إلى هدفه المنشود؛ تَماماً كما فعلت بالنسبة لما ارتكبوه ضد أسطول الحرية الرامي إلى فَكِّ الحصار عن تلك المدينة الصابرة المُرتكَب أفظع الجرائم بحقها. وما هو واضح كل الوضوح الآن هو مواصلة الضغط على جماعة أوسلو من الفلسطينيين وأشياعهم من العرب كي تستمر المفاوضات العبثية مع قادة الكيان الصهيوني المجرمين متزامنة مع استمرار تَهويد الأراضي الفلسطينية المُحتلَّة يوماً بعد يوم - بما في ذلك القدس ومسجدها الأقصى - ومع الإلحاح على الاعتراف بيهودية الدولة الصهيونية تمهيداً لطرد من بقي في فلسطين من العرب بعد عام ١٩٤٨م.

ذلك هو الوضع بالنسبة لموقف الإدارة الأميركية الحالية، التي تفاءل من تفاءلوا بمجيئها إلى الحكم جهلاً منهم أو تجاهلاً لحقيقة ما للصهاينة من نفوذ على مفاتيح مسار الأمور في أميركا. فماذا عن الوضع في أوروبا؟

في العام الماضي زار بابا الكاثوليك فلسطين المحتلة. وكان من بين ما فعله هناك زيارة أسرة الجندي الصهيوني، شاليط، الذي كان أَداةَ قَتلٍ للفلسطينيين الأبرياء والتنكيل بهم، فَأُسِر كما يُؤسَر، أحياناً، أَيُّ مقاتلٍ في جيش من الجيوش؛ ناهيك عن أن يكون هذا الجيش إجرامي النَّزعة

والتَّصرف. لكن البابا لم يُشِر مُجرَّد إشارة إلى أكثر من اثني عشر ألف سجين فلسطيني بينهم أعضاء في برلمان منتخب انتخاباً حُراً نَزيهاً، وبينهم نساء وأطفال. ولم يدَّخر ذلك البابا وُسعاً في تَمجيد اليهود وتقديس تراثهم، كما لم يَدَّخر وُسعاً في تَعبيره عن أساه لما حدث لهم من مآس ونكبات، لكنه لم يقل كلمة واحدة عَمَّا ارتكبه الصهاينة من جرائم في حق الفلسطينيين، وآخرها جريمة مجزرة غَزَّة الرهيبة، التي لم تَجفَّ دماؤها بعد عند زيارته تلك.

وعند كتابة هذه المقالة جاء إلى المنطقة وزير خارجية بريطانيا، التي مَهَّد ساستها الطريق للصهاينة لاحتلال فلسطين ولم ينسحبوا منها إلا بعد أن اطمأنوا إلى أن هؤلاء الصهاينة قد أصبحوا قادرين على إقامة كيانهم على أرضها. وكان مما أبداه من خضوع لإرادة قادة الصهاينة المجرمين أنه اضطر صاغراً إلى وعدهم بأن حكومته ستعمل على تغيير قانونها القاضي باعتقال من يأتي إلى بريطانيا من أولئك المجرمين وفق ما هو موجود الآن في القانون البريطاني.

والأمثلة الدالة على تَمكُّن الصهاينة من إملاء إرادتهم على زعماء الدول القوية في العالم كثيرة وكثيرة. وكل هذا يَدلُّ على أنهم ما زالوا هم السادة المُطَاعِين.